شخصية ابن بطوطة من خلال رحلته
دراسة نقدية

أ.د فاضل جابر ضاحي
جامعة واسط– كلية التربية

المقدمة

على الرغم من الشهرة الواسعة التي نالها ابن بطوطة[1] بوصفه واحدا من أبرز الرحالة المسلمين إن لم يكن أبرزهم جميعاً، إلا أن المعلومات المتوافرة عن حياته في كتب التراجم تعد قليلة، فباستثناء ما بثّه هو في ثنايا رحلته المدونة من معلومات حول شخصيته لا نكاد نجد ما يشفي الغليل عند غيره من المؤلفين المعاصرين واللاحقين له .

وبالعودة لموضوع شهرته ذائعة الصيت، نجد أن منبعها حدد بأمرين : أولهما ما تضمنته رحلته من معلومات تفصيلية منوعة عن البلدان الواقعة بين المغرب غرباً والصين شرقاً، لاسيما تلك المتعلقة ببلدان جنوب شرق آسيا وجزرها وبلاد الهند، فضلاً عما حوته من أخبار غريبة ومشوقة تستهويها نفوس البشر في كل عصر وأوان .

أما الأمر الثاني: فيتعلق باسم شهرته الذي لازمه، فهو غريب ونادر، إن لم يكن فريداً من نوعه، إذ لم يشتهر بهذا الاسم غيره، فأضاف شهرة إلى شهرته التي اقتبسها من خلال قيامه برحلة طويلة عريضة عبر البحار والصحاري والجبال والمدن والقرى. إن اسم شهرته (ابن بطوطة) النادر والغريب سهل حفظه وانتشاره بين الناس، فعندما يقال أو يذكر في مجلس عام أو خاص، فإنه لا ينصرف لغيره، بل إليه وحده، إذ لا ينافسه فيه أحد، على خلاف الكثير من المؤلفين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة الذين أما أن تكون شهرتهم ليست غريبة بدرجة أسم ابن بطوطة، أو أن هناك من يشاطرهم الشهرةبذات الأسم ، ففضلاً عن أن اسم ابن بطوطة ارتبط بكثرة النساء اللاتي تزوجهن أو تسرى بهن إبان السنوات الطويلة التي جاب بها بلدان المشرق والمغرب، وقد سجل ذلك بحرص كبير إلى درجة التباهي بهذا الأمر .

وسنحاول في هذه الدراسة أن نبحث شخصية ابن بطوطة من وجهة نظر مغايرة للدراسات التي تناولته سابقاً، إذ سنركز على بيان ما نراه سلبياً في رحلته المدونة، حيث سنتناول فيها: نظرة

وموقف ابن بطوطة من المال والنساء، والمبالغات والخرافات والتناقضات التي حوته تلك الرحلة، وبيان ما إذا كان هذا الرحالة يستحق تلك الشهرة الواسعة أم لا، وما مدى الأثر الذي تركته الصدفة والحظ في تمتع ابن بطوطة بهذه الشهرة. معتمدين في ذلك على رحلته المدونة بالدرجة الأساس، فضلاً عن بعض المصادر التي نحتاجها للتوضيح والمقارنة .

المبحث الأول: موقف ابن بطوطة من المال

إن الملفت للنظر فيما كتبه ابن بطوطة في رحلته، هو حرصه الشديد على ذكر ما حصل عليه من أموال عينية ونقدية من جهات حكومية أو غير حكومية، التقى بها خلال رحلته الطويلة زماناً والشاسعة مساحةً، وعند تتبعنا للنصوص الواردة عنه في هذا المجال، نجد أنه انتقل خلالها من الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش، وما سنذكره أدناه سيدلل على ما ذهبنا إليه.

كانت أول هبة حصل عليها من حلكم مدينة قسنطينة[٢]، في بداية رحلته من المغرب باتجاه الديار المقدسة، حيث حصل على دينارين ذهبيين وإحراماً بعلبكياً، وقد علق الرحالة على هذه الهبة بقوله: "...فكان ذلك أول ما فتح عليَّ"[٣] أي أنه أعطى لذلك بعداً دينياً. وأثناء زيارته لمصر زار عدة مدن، فحصل على هبات أمرائها، منها ما حصل عليه من أمير مدينة فارسكور[٤]الذي أعطاه جملة دراهم[٥]. وإبان زيارته لمدينة واسط التقى بالفقيه تقي الدين الواسطي (ت ٧٤٤هـ) فأضافه وزوده بدراهم وتمر[٦] . أما في البصرة، فقد أضافه علاء الدين ابن الأثير شيخ قبيلة هذيل ووهبه ثياباً ودراهم، فوصفه بالفضل والكرم[٧] ، وفي البصرة أيضاً التقى بشيخ قبيلة بني حرام، الشريف مجد الدين موسى الحسيني فزوده بالتمر والدبس والدراهم فوصفه بذات الوصف الذي وصف به الشيخ الهذيلي[٨].

وأثناء رحلته إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى)، حصل على أموال جمة، دفعت أحد الباحثين للقول: "منذ أن دخل إلى آسيا الصغرى انصبت عليه الهبات، وكثر المال عنده، فبدأ يتغير، فأخذ يتحول إلى رجل مترف شديد الحرص على المال والمتاع"[٩]. والواقع أن هذا القول فيه نظر، إذ أن رحالتنا حصل على أموال كثيرة جداً، لكنه لم يكن حريصاً عليها، بل كان متلافاً لها كثير البذخ والإسراف، وفي الصفحات التالية مصاديق لقولنا هذا . ومن حكام بلاد الروم الذين أكرموه أبو إسحاق بك بن الدندار[١٠] حيث أعطاه فرساً وكسوة ودراهم[١١] .

وأعطاه سلطان قسطمونية[١٢] سليمان بادشاه فرساً وكسوة ونفقة[١٣]، أما سلطان لاذق[١٤] يينج بك أحد كبار سلاطين بلاد الروم فقد أعاه خيلاً ودراهم ولمن رافقه[١٥] .

لكن التحول الحقيقي في حياة الرحالة والذي نقله إلى الثراء، إنما حصل له حينما زار المشرق الإسلامي بشكل عام، والهند على وجه التحديد، والنصوص التالية خير دليل على ذلك، منها: ما

ذكره الرحالة عن هبة أمير خوارزم[١٦] قطلو دمور[١٧] له والبالغة ألف درهم، التي قارنها بالدينار المغربي فقال أنها تساوي ثلاثمائة دينار، كما أن زوجة ذلك الأمير أعطته مائة دينار ذهباً[١٨] .

ويلاحظ في موضوع موقف ابن بطوطة من المال أنه كان متلافاً له مبذراً، حتى أن هذه الصفة أوقعته أحياناً في مواقف محرجة إذ أن إسرافه الشديد أدى به إلى الاقتراض وربما عجز عن التسديد، وصفته هذه خلاف ما ذكره الباحث أعلاه من أنه كان شديد الحرص على المال، والأصح أن يقول أنه كان دائب العمل للحصول على هبات الأمراء والسلاطين ، وسريع التصرف بما يحصل عليه من الأموال حتى أن القارئ لما كتبه الرحالة يدرك أن الرجل جعل من إتلاف النقود إحدى متعه اليومية .

اقترض ابن بطوطة خمسة وخمسون ألف دينار، ثم عجز عن أدائها، فأضطر إلى كتابة قصيدة إلى السلطان محمد بن تغلق[١٩] سلطان الهند يمدحه فيها ويرجوه سداد دينه وتخليصه من ورطته، فكان له ما أراد[٢٠]. أما والدة هذا السلطان، فقد منحت إحدى زوجات ابن بطوطة في مناسبة وفاة طفلتها الوحيد ألف دينار وأساور ذهبية وقميص مزركش بالذهب وخلعة حرير مطرزة بالذهب، فاستغل ابن بطوطة ذلك، وسدد به ديناً آخر ركبه لبعض التجار[٢١].

وبعد هذه الهبات الدسمة، لا نستغرب حينما نقرأ في رحلة ابن بطوطة إن كاتبها ركع أكثر من مرة لهذا السلطان، ذلك الركوع الذي يسميه (الخدمة) وهي كما عرفها الرحالة نفسه، أن يقوم الداخل على السلطان بإنزال رأسه بإتجاه الأرض ويلمسها بأحد أصابعه، وأن يكون وجهه تجاه جلوس السلطان[٢٢].

لكنه في مناسبة أخرى ناقض الرحالة نفسه حينما امتنع عن أداء الخدمة – أي الركوع – إلى وزير جزيرة ذيبة المهل عبدالله بن محمد الحضرمي بسبب المنافرة بينهما، فاستفسر منه الوزير عن سبب امتناعه عن أداء الخدمة، فرد الجواب مع أحد القضاة أن تحية الإسلام هي السلام فقط[٢٣]. وهنا نقول: ألم يكن ابن بطوطة يعرف طبيعة التحية في الإسلام حينما ركع للسلطان محمد بن تغلق وهو القاضي والفقيه ؟ لكن على الأرجح أن هذا الوزير لم تكن هباته وعطاياه تقنع الرحالة بأداء الخدمة له، كما هو الحال مع هدايا وهبات السلطان المذكور، أو أن الوزير لم يعطه شيء مطلقاً .

وفي العودة إلى بيان موقف ابن بطوطة من الحكام وذويهم الذين منحوه بعض المال أو الذين لم يعطوه شيئاً، قال عن أم السلطان يوسف بن الوليد حاكم غرناطة حينما أعطته بعض الدنانير إبان زيارته لها: بأنها "الحرة الصالحة الفاضلة"[٢٤] .

وقال عن ابنة السلطان أوزبك محمد المسماة آيت كججك: "وما ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المكارم وحسن الأخلاق ما لم نره من سواها، وأجزلت الإحسان، وأتصلت جزاها الله خيراً"[٢٥]،

في حين قال عن إحدى زوجات السلطان أوزبك ذاته أنها "أبخل الخواتين"[٢٦] والسبب أنه حينما زارها لم تعطه شيئاً، فبين رأيه وأطلق حكمه من موقف واحد فما أدراه ماذا فعلت مع زائريها الآخرين الذين سبقوه أو الذين زاروها بعده، ووصف زوجة السلطان أوزبك الأخرى الخاتون بيلون بأنها صاحبة مكارم وأخلاق لأنها أرسلت له الطعام والسمن والغنم والدراهم والثياب والجياد[٢٧] .

وأستمر ابن بطوطة في مدح من يعطيه وذم من لا يعطيه بل الطلب المباشر من بعض الحكام الذين لا يعطون، ومما ذكره عن حاكم مدينة بلي كسري[٢٨] دمورخان أنه لا خير فيه، لأنه لم يعطه إلا ثوب حرير واحد[٢٩] ولما أعطاه سلطان قسطمونية سليمان باد شاه فرساً وكسوة وبعض المال، قال عنه أنه حسن الوجه صاحب وقار وهيبة[٣٠].

والعجيب في رحلة ابن بطوطة مع المال هو أن جميع ما حصل عليه من دراهم ودنانير وجواهر وثياب حرير وغيرها ذهب أدراج الرياح في طريق عودته، فبينما هو بسفينته في البحر تعرض هو ومن معه إلى غارة من قبل القراصنة الهنود، ونهبوا جميع ما لديهم حتى لم يبق مع ابن بطوطة سوى السوال الذي يرتديه [٣١] .

واستهجن ابن بطوطة هدية سلطان مالي التي ينتظرها بفارغ الصبر، فلما أخبره أحد مقربي السلطان أن هدية الأخير ستصله، جال بخياله بعيداً وتصور أنه أصبح من الأثرياء مجدداً، بعد أن افتقر على أثر نهب أمواله في عرض البحر، ولندع الرحالة يصف ما حصل عليه من ذلك السلطان وموقفه من الهدية، إذ قال: "...فقمت وظننت أنها الخلع والأموال، فإذا هي ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلو بالغرتي وقرعة فيها لبن رائب، فعندما رأيتها ضحكت وطال تعجبي من ضعف عقولهم، وتعظيمهم لهذا الشيء الحقير"[٣٢]. ونلاحظ أن الرحالة وصف عطية السلطان المتكونة من الطعام بالحقارة بسبب تعوده على هبات كثيرة ذات قيمة مادية كبيرة .

لكن ابن بطوطة لم ييأس من الحصول على مراده من سلطان مالي فمكث مدة شهرين ينتظر الأموال، فلما حل شهر رمضان أخذ يتردد إلى القصر ويجالس القاضي والخطيب، وتكلم مع المترجم عن حاله وحاجته فقبل المترجم أن يترجم له ما يقوله في حضرة السلطان، فدخل عليه في أحد الأيام، فقال: "...إني سافرت بلاد الدنيا، ولقيت ملوكها، ولي ببلادك أربعة أشهر ولم تضفني ولا أعطيتني شيئاً. فماذا أقول عنك عند السلاطين"[٣٣] وعند ذاك أمر السلطان أن يمنحه داراً للسكن وأعطاه حينما رحل عنهم مائة مثقال ذهب[٣٤]. وهكذا بذل ابن بطوطة ماء وجهه من أجل بضعة مثاقيل ذهبية، حينما تقدم للسلطان بطلب مشوب بالتحذير أو نوع من التهديد المبطن، ويبدو أنه ولكثرة ما التقاه من الملوك والأمراء والسلاطين، امتلك الجرأة للحديث على هذا النحو أمام هذا

السلطان، ولكثرة ما حصل عليه من هدايا وهبات استصغر هدية السلطان الأولى، فطالب بالحـ صول على أكبر منها، وهو بهذا لا يختلف عن بعض الشعراء الذين يطالبون بالهدايا بألسنتهم. ولم يخش ابن البطوطة من آراء القراء حينما ذكر في رحلته أنه زار السلطان غياث الدين حينما مرض وقدم له هدية، وكان من عادة هذا الملك أن يهدي من أهداه شيئاً من المال، فلما أمر بـ إعطاء ابن بطوطة مالاً لقاء هديته، رفض ذلك، وحين سجل هذه الحادثة فيما بعد، قال أنه ندم على رفضه لتلك الهدية لأن الملك قد مات[٣٥]، مما يعني أن الرحالة إنما أهداه رجاء بقائه في دست الحكم، أما وقد مات، فقد خسر ما كان يرمي إليه من التزلف للحاكم، كما أن تسجيل ابن بطوطة لندمه يعكس مدى تأسفه وامتعاضه لعدم أخذ المال من الملك قبل وفاته .

المبحث الثاني: النساء في حياة ابن بطوطة

من المعلومات المثيرة للانتباه والملفتة للنظر التي حوتها رحلة ابن بطوطة، تلك المتعلقة بالنساء وموقفه وعلاقته بهن، والذي يمكن تسجيله بلا تردد في هذا الجانب، إن الرحالة حرص كل الحرص على تتبع أخبارهن أينما حل، ولعل ذلك كان نتيجة لشغفه بهن وحرصه على اقتناء الجواري، إذ لم نجده وحيداً بلا امرأة واحدة أو أكثر سواء أكان في حله أو ترحاله، وسواء أكان في مدينة أو جزيرة أو سفينة في عرض البحر أو قافلة تجوب الفيافي. ولا نعلم كيف حكم أحد الباحثين بأن ابن بطوطة كان رجلاً عادياً من ناحية علاقته بالنساء، رافضاً آراء من يؤكد أنه كان مزواجاً[٣٦].

والواقع إن ما ذكره ابن بطوطة بين دفتي رحلته، يخالف ما ذهب إليه الباحث المذكور، وللتدليل على ذلك، يمكن متابعة النصوص التالية، إذ بدأت علاقته مع بنات حواء في بداية رحلته فحينما مر بمدينة صفاقس[٣٧] تزوج هناك بنتاً لأحد الوجهاء تونس ودخل بها في مدينة طرابلس الغرب، لكن هذا الزواج سرعان ما انتهى أثر مشاجرة وقعت بينه وبين صهره والد زوجته، انتهت بتطليقه لزوجته الولى، لكنه لم ينتظر طويلاً ، إذ سرعان ما تزوج من فتاة أخرى في مدينة سماها قصر الزعافية[٣٨] وعمل وليمة دعا إليها الركب الذين رافقوه في رحلته إلى الحج[٣٩].

وحينما زار بلاد الروم، أعجبه جمال نساؤها، لذلك اشترى جارية رومية جميلة أسمها مرغليطة في بداية وصوله لتلك البلاد[٤٠] ولعل اسمها هو ذاته المشهور حالياً بين المسيحيين بلفظ ماركريتا. وفي مدينة أيا سلوقيا[٤١] ، اشترى جارية أخرى كانت بكراً بأربعين ديناراً ذهبياً[٤٢] . هذا علاوة على ثلاث جوار جلبهن معه في عربته التي سار بها متوجهاً إلى بلاد الروم[٤٣] .

وفي بلاد الهند، تزوج عدة نسوة، منهن واحدة تسمى حورنسب، وهي أخت الشريف إبراهيم المعروف خريطة دار، وهو صاحب القرطاس والقلم بقصر ملك الهند محمد بن تغلق، وقد استولدها بنتاً، ثم تركها ورحل، مشيراً إليها بعد مدة من رحيله عنها هي وابنته، أنه لا يعلم ماذا حل بهما[٤٤].

وحينما عزم على السفر إلى الصين انطلاقاً من ميناء قلاقوط الهندي، أعطاه ملك الهند سفينة تسمى جنكاً لغرض السفر فقال: انه يريد سفينة أوسع منها لا يشاركه فيها أحد إلا جواريه اللائي معه، لأنه كما أكد أن من عادته أن لا يسافر إلا ومعه الجواري، ولما حقق ما أراد، وصعد الجواري في السفينة اضطر ابن بطوطة إلى التأخر لطارئ ما، وذهب معهن بعض غلمانه، ثم بعد أيام عاد إليه الغلام وأخبره أن صاحب جزيرة جاوة[٤٥] سيطر على السفينة وصادر جميع ما حملته من متاع ونساء، وإن إحدى جواريه كانت حاملاً فتوفيت[٤٦] .

وفي جزائر ذيبة المهل[٤٧]، تزوج ربيبة الوزير عبدالله بن محمد الحضرمي وأحبها حباً جماً كما قال، ثم تزوج فتاة أخرى في ذات الجزيرة، وهي بنتاً لوزير آخر، ثم تزوج فيها أيضاً امرأة ثيب كانت متزوجة لأحد السلاطين، ثم زوجة رابعة هي ربيبة الوزير عبدالله الحضرمي[٤٨]. وفي جزيرة ملوك[٤٩] تزوج بأمرأتين، وأرخ زواجه هذا في عام ٧٤٥هـ[٥٠]، وأهداه سلطان جاوة جاريتين وغلامين من السبي الذي حصل عليه عبر حروبه مع غير المسلمين في تلك البلاد[٥١] .

وفي جزيرة المهل أيضاً، أشار الرحالة أنه مكث فيها عاماً ونصف العام، كان خلالها متزوج من أربع نسوة وله سواهن من الجواري، وأكد أنه كان يضاجعهن جميعاً كل يوم على مدى سنة ونصف كاملة، وأن هذه القوة جاءته بسبب تناوله لسمك تلك الجزيرة المفيد للباه[٥٢] . وفي ذات الجزيرة التقى بوزيرها المدعو سليمان مانايك، وصادف أن مات زوج ابنة الوزير، وكانت ابنته قبل هذا متزوجة من السلطان شهاب الدين الذي مات عنها أيضاً، فردها والدها إلى داره، وأعطى سكنها إلى ابن بطوطة، وكانت من أجمل دور الجزيرة، ثم أهداه جاريتان وعرض عليه الزواج من ابنته بعد انقضاء عدتها، فأبى الرحالة ذلك لأنه كما قال: خاف من شؤمها، لأن زوجين سابقين توفيا عنها. فلما رفض أخذ الوزير هداياه من ابن بطوطة، فعزم الأخير على الرحيل، فأعتذر الوزير له وأرجع هداياه، ثم أن الرحالة طلب الزواج بنفسه من ابنة الوزير، لكنها هي التي رفضته هذه المرة، فما كان من الرحالة إلا تحويل رغبته سريعاً إلى امرأة أخرى، كانت زوجة لوالد السلطانة، وقد وصف لنا هذه المرأة على النحو الآتي: "...وكانت من خيار النساء وبلغ حسن معاشرتها أنها كانت إذا تزوجت عليها تطيبني وتبخر أثوابي وهي ضاحكة لا يظهر عليها تغير..."[٥٣].

ومن طباع ابن بطوطة في علاقته بالنساء، إنه كان يطلق بعض زوجاته عندما يريد السفر عن البلد الذي تزوجهن به، ومثال ذلك تطليقه لإحدى زوجاته وكانت حاملاً، حينما أراد السفر عن جزيرة ذيبة المهل، ثم طلق أخرى لأنها مرضت وشعرت بالألم، فتركها وأخذ معه جارية كان شغفاً بها، حينما رحل عن الجزيرة ذاتها[٥٤] .

وثمة حالة سلبية أخرى، فيما يرتبط بعلاقة ابن بطوطة بالنساء، سجلها لنا بنفسه، لكنها تعد إحدى سلوكياته الشائنة، فحينما اشترك في غزوة قام بها السلطان جمال الدين[٥٥] حاكم مدينة هنور[٥٦]، ضد أحد أعدائه من غير المسلمين، فلما انتصر هذا السلطان أهدى لابن بطوطة إحدى النساء اللائي تم سبيهن في تلك الغزوة اسمها لمكي ، فأطلق عليها الرحالة اسم المباركة، ثم تبين فيما بعد أنها ذات بعل، فجاء زوجها يرجو ابن بطوطة ارجاعها إليه، لكن هذا الرحالة الفقيه القاضي رفض طلبه ، والعجيب أنه سجل هذه الحادثة في رحلته المدونة[٥٧] . وربما كان لها أطفال يحنون إليها، فهل هذا سلوك قويم يصدر عن رحالة العصور كما يلقبه البعض .

ويستمر ابن بطوطة في تسجيل بعض سلوكياته الشائنة ومن ذلك ما ذكره حول الهدية التي وصلته من وزير السلطان محمد بن تغلق، المتمثلة بعشر جوار من السبي الذي حصل بعد معارك مع كفار الهنود – كما يسميهم –، فما الذي فعله ابن بطوطة بهن ؟ لنقرأ ما ذكره في رحلته عن هذه الحادثة:"...وكان قد وصل في ذلك الوقت سبي من الكفار فبعث الوزير إليٍ عشر جوار منه فأعطيت الذي جاء بهن واحدة منهن فما رضي بذلك وأخذ أصحابي ثلاثاً صغاراً منهن وباقيهن لا أعرف ما اتفق لهن. والسبي هنالك رخيص الثمن لأنهن قذرات لا يعرفن مصالح الحضر"[٥٨].

لاحظ عزيزي القارئ إن عدم اهتمام ابن بطوطة بهن إنما يعود لعدم وجود جاذبية فيهن، بسبب القذارة وعدم الاهتمام بالمظهر، حتى أنه لم يعرهن أي اهتمام بحيث لا يعلم ماذا حلَّ بهن، وأين ذهبن، ونعتقد جازمين أنهن لو كنَّ روميات أو تركيات لأختلفت نظرته لهن. ثم كيف لا يكونن قذرات وقد تم خطفهن في معركة من أسرهن ؟ و هل المعارك إلا غبار ؟ وخلالها يكون المرء منشغل بمصيره لا بمظهره، ثم ما هذا التلاعب بمصائر النساء ليتم توزيعهن بين الرجال الغرباء، هل يوجد شبيه لهذه الحادثة في عصرنا إلا ما فعله الدواعش مع مخالفيهم .

لقد بثّ ابن بطوطة في ثنايا رحلته المدونة، أخبار وفيرة عن النساء، وقسم منها دونها عن تجارب شخصية، لاسيما تلك المتعلقة منها بالمعاشرة معهن، فقد وصف نساء ذيبة المهل بقوله: "والتزويج بهذه الجزائر سهل لنزارة الصداق وحسن معاشرة النساء، وإذا قدمت المراكب تزوجٍ أهلها النساء، فإذا أرادوا السفر طلقوهن، وذلك نوع من نكاح المتعة، وهن لا يخرجنعن بلادهن أبداً، ولم أر في الدنيا أحسن معاشرة منهن... ولقد تزوجت بها نسوة"[٥٩] مما يشير إلى أن الرحالة مارس زواج المتعة على الرغم من مخالفته لمذهبه، لكن شبقيته وأندفاعه نحو النساء جعله يتجاوز ذلك ويرضى به، لاسيما وأنه قد أعجب أيما اعجاب بهن لحسن معاشرتهن كما قال .

ويلاحظ على ابن بطوطة أنه كان يصف نساء الجزر والدول والمناطق التي زارها ومكث بها، لاسيما تلك التي تزوج وتسرى من نسائها، والواقع أن الرحالة اهتم اهتماماً كبيراً بالنساء وعلاقته بهن

وحرص على تدوين أخبارهن في رحلته، ومن ذلك حرصه على بيان صفاته، فعلاوة على ما سبق، وصف لنا نساء مدينة أيولاتن بأفريقيا بأنهن ذوات جمال فائق[٦٠]، وقال عن نساء مدينة دولة آباد[٦١]بأن الله تعالى حضهن بالحسن ولاسيما الأنف والحواجب، ولهن طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن[٦٢]. ولما أرسله السلطان محمد بن تعلق سلطان الهند إلى الصين مر ببلدان كثيرة منها مدينة تنسب إلى قبيلة تسمى مالوة، فوصف نساؤها بالآتي: "... لنسائهم الجمال الفائق وهن مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة، وكذلك نساء المرهتة ونساء جزيرة ذيبة المهل"[٦٣].

ووصف نساء بلاد البنغال حينما زارها بأنهن جميلات يصلحهن للفراش، رخيصات الثمن، تباع الجارية الواحدة بدينار واحد وأكد أنه اشترى جارية بارعة الجمال بذات القيمة اسمها عاشورة[٦٤].

وأخيراً يمكن القول: أن حديث ابن بطوطة عن النساء وأخبارهن لم تتضمن مشاركتهن في الحياة العامة كمشاركتهن في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، إلا ما ندر، بل كاد ذلك أن يكون مقتصراً على أوصاف الجسد وحيثيات المعاشرة، وتلك إحدى سلبياته كما نعتقد .

المبحث الثالث: الخرافات والمبالغات

حفلت رحلة ابن بطوطة بالكثير من المبالغات والأخبار الغريبة التي يمكن أن توصف بالخرافات، والد عجيب أن الرحالة على الرغم من كونه فقيهاً وقاضياً وأحد مثقفي عصره، إلا أنه سجل مثل تلك الأمور على أنها حقائق، ولم يقدم نقداً لها أو تشكيكاً بها على الإطلاق .

ولنبدأ بذكر ما سطره في رحلته من مبالغات وأخبار غريبة يقف عندها القارئ متحيراً من أمر كاتبها الذي عرف بمكانة علمية وشهرة واسعة منذ صدور رحلته المدونة وتداولها بين القراء حتى يومنا هذا . فمن المبالغات ما ذكره حينما نقل لنا مشاهداته لمغاص اللؤلؤ في سيراف[٦٥] والبحرين خلال شهري أبريل ومايو، حيث وصف لنا عمل الغواص بقوله: "ويجعل الغواص على وجهه مهما أراد أن يغوص شيئاً يكسوه من عظم الغليم، وهي السلحفاء ويصنع من هذا العظم أيضاً شكلاً شبه المقراض يشده على أنفه ثم يربط حبلاً في وسطه ويغوص، ويتفاوتون في الصبر في الماء، فمنهم من يصبر الساعة والساعتين فما دون ذلك ... فإذا ضاق نفسه حرك الحبل، فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب..."[٦٦].

وتلك مبالغة واضحة، فكيف يمكن للإنسان مهما درب نفسه على الصبر عن التنفس، أن يمكث في قاع البحر لمدة ساعة أو ساعتين بحثاً عن اللؤلؤ، وهو بلا أوكسجين، إن الذي يفسر لنا تدوين ابن بطوطة لهذا الأمر، هو أما أن يكون سمع بروايات شعبية عن مطاولة بعض الغواصين وصبرهم عن استنشاق الهواء فنقلها لنا على أنها مشاهداته الخاصة، أو أنه لم يتسن له الوقوف بشكل تام

على حقيقة أمر المدة القصوى التي يمكن لهؤلاء الغواصين من البقاء تحت الماء بلا هواء، وعلى الرغم من ذلك فإن ابن بطوطة بوصفه أحد مثقفي عصره، كان عليه أن يتحرى الدقة ولا يبالغ في ذلك على هذا النحو. ومن الجدير بالذكر أن الغوص وفقاً للطريقة التي ذكرها الرحالة بقي قائماً حتى منتصف القرن العشرين تقريباً يعرف ذلك من خلال الأفلام الوثائقية التي تعرضها تلفزيونات البحرين والكويت، ومتابعتها تدحض بقوة مقالة ابن بطوطة حول المدة المشار إليها .

ونسب الرحالة لنفسه صفات وإمكانات تخرج عن دائرة المبالغات إلى مستوى الخوارق والأساطير، ومن ذلك ما ذكره عن مكوثه في جزائر ذيبة المهل حيث قال: "وللسمك الذي يتغذون به قوة عجيبة في الباءة لا نظير لها. ولأهل هذه الجزائر عجب في ذلك. ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن فكنت أطوف على جميعهن كل يوم وأبيت عند من تكون ليلتها. وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك..."[٦٧].

وبتعبير آخر، فإن ابن بطوطة كان يجامع ثمانية نسوة يومياً وعلى مدار عام ونصف، بسبب تناوله لذلك السمك، وحتى لو تبادر إلى ذهن القارئ الكريم أن هذا السمك هو ذاته الذي يستخرج منه الكافيار، فإنه لا يأتي بهذه النتائج، بل حتى لو قيض لابن بطوطة أن يخترق الزمن فيصل إلينا ونحن في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ويحصل على علبة كبيرة من حبوب الفياغرا الألمانية أو الإنكليزية، لما تمكن من ذلك. لاسيما وأن الرحالة قد تجاوز سن الأربعين بسنتين حينما كان في تلك الجزر ، لأنه كما ذكر في رحلته المدونة أنه بدأ برحلته سنة ٧٢٥هـ وكان سنه آنذاك اثنتان وعشرون سنة[٦٨] كما أنه ذكر تاريخ تواجده في تلك الجزر وهو عام ٧٤٥هـ[٦٩].

ومن الأحداث الغريبة التي نقلها في رحلته والتي تدور حول شخصيته وترتبط به، ما ذكره من أخبار شخص يدعى حسن المغربي المجنون الذي شاهده الرحالة في مكة المكرمة إبان مجاورته بها، إذ قال أنه كان عاقلاً يخدم أحد الزهاد، وبينما هو يطوف في إحدى الليالي، التقى بفقير فسأله عن حاله وأخبره إن أمه التي تركها في المغرب مشتاقة لرؤياه، وعرض عليه مساعدته في لقاء أمه، فقال: وكيف أراها وأنا في مكة ، فضرب له موعداً ليريه أمه في الليلة التالية، فلما التقيا أمره الفقير أن يغمض عينيه ويمسك ثوبه، وما هي إلا لحظات حتى فتح عينيه ، فوجد نفسه في المغرب عند أمه، وأقام عندها خمسة عشر يوماً، ثم التقى بالفقير في المغرب وطلب منه ارجاعه إلى مكة بذات الطريقة، فطلب منه أن يغمض عينيه ويمسك ثوبه، فلما فعل ذلك، وجد نفسه بعد برهة في مكة المكرمة وأمره أن لا يحدث أحداً بذلك، لكنه لم يلتزم بهذا الشرط، إذ أخبر به الزاهد الذي كان يخدمه، فما كان من ذلك الفقير إلا أن يضربه فأخرسه وذهب عقله نتيجة لتلك الضربة العقابية[٧٠].

إن ما ذكره الرحالة في قصة المجنون لا يعدو كونه قصة خيالية، لا يصدقها إلا البسطاء من الناس الذين تؤثر بهم وتجذبهم الغيبيات التي تحاك حول بعض الأشخاص غريبي الأطوار، وكيف لقاضي مثل رحالتنا أن يصدق بها ويدونها على أنها حقيقة واقعة ؟ والذي يمكن تسجيله حول هذه الرواية، هو أن هذا المجنون ربما تعرض إلى اعتداء وضرب على رأسه حتى فقد عقله، وأصبح أخرساً أو أنه أصلاً ولد على هذا النحو، ثم حيكت حوله الأساطير والخرافات، فسمع بها ابن بطوطة أيام مجاورته لمكة المكرمة، فدونها على أنها من الحقائق، مدفوعاً بميله لمثل هذا النوع من الأساطير .

ونقل الرحالة خبراً حول أحد الأشخاص في الصين إبان زيارته لها، فقال إن فيها شيخاً كبيراً عمره ناف على المائتين وهو لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث ولا يباشر النساء مع قوته التامة، ويقول أنه ذهب لزيارته في غار يسكنه، فتعرف ذلك الشيخ عليه، وأنه ذكر ابن بطوطة بالدنانير التي أعطاها له في إحدى الجزر، فأكد له الرحالة صحة ما ذكر، وقبل يده مع أنه اعترف بأن أخبار هذا الشيخ كلها غريبة[٧١].

ومن مبالغاته التي سجلها لنا مشاهدة، ما ذكره عن القوارب التي تصنع في سلطنة مالي، إذ يقوم الناس هناك بشطر القرعة الواحدة إلى شطرين، فتصبح قاربين يسافر في القارب الواحد منها الرجل وجواريه وفرشه وأوانيه[٧٢]. ونتساءل هل أن في الأرض منذ خلقت قرعة بهذا الحجم بحيث تتسع لثلاثة أو أربعة أشخاص مع فرشهم وأوانيهم ؟ وقد رأينا إبان عملنا في إحدى الجامعات الليبية بين عامي ١٩٩٩-٢٠٠٠م القرع الكبار الذي لا يتجاوز قطر الواحدة منها نصف متر بأي حال من الأحوال، ولنقل أن قطرها متر أو مترين تماشياً معمبالغات ابن بطوطة – وهي مرفوضة قطعاً – فهل لها أن تتسع لتحمل هذا العدد من الأشخاص ومقتنياتهم ؟!

ومن مشاهداته في سلطنة مالي أيضاً، ما ذكره حول زيارته لقصر السلطان منسي سليمان، إذ ذكر أن أحد الفقهاء حضر من أطراف السلطنة، وقال: أن الجراد اجتاح أراضيهم فخرج أحد الصلحاء إلى موضع الجراد، فهاله ما رأى، فقالت له جرادة: إن الله بعثنا لبلادكم لما فيها من ظلم، فوجد ذلك وقعاً في نفس السلطان، فأعلن براءته من الظلم، وهدد أركان دولته من الحاضرين بالعقوبة، إن هم ظلموا الرعية[٧٣] . وحينما سرد ابن بطوطة هذه القصة الخيالية، لم يعلق عليها بل ترك الأمر على حاله، وكأنه اعتقد بصحة حديث الجرادة .

ومن الأحداث الغريبة التي سجلها على أنها حقيقة، ما حدث له أثناء زيارته لمدينة جدة، التي قال أنها من بناء الفرس ، فذكر أن أعمى يقوده غلام وقف على باب الدار التي يسكنها الرحالة يستسقي الماء، فلما خرج له ابن بطوطة وسلم عليه، سماه ذلك الأعمى باسمه على الرغم من عدم

وجود سابق معرفة بينهما، وإن ذلك الأعمى أمسك بيده وسأله عن خاتمه، فأخبره الرحالة أنه أعطاه لأحد الفقراء، فأخبره الأعمى بضرورة استعادته لأنه يحمل أسماء فيها سر من الأسرار[٧٤]. ولا نعلم كيف قرأ ذلك الأعمى تلك الأسماء ؟ وكيف علم بأسرارها ؟ ولماذا جاء إلى بيت ابن بطوطة دون غيره؟ لاسيما وأن الرحالة ترك الأمر على علاته حينما سجل ذلك الخبر. وإذا صحت تلك الرواية – ولا نعتقد بصحتها – فإن الذي يفسرها لنا أن ذلك الأعمى كان يعرف ذلك الفقير الذي أهداه ابن بطوطة ذلك الخاتم، وأنه أخبر به ذلك العمى، فطلب الأمير من غلامه أن يأخذه إلى دار ابن بطوطة بحجة طلب الماء ليخبره بضرورة استرجاع الخاتم، ناسجاً حوله بعض الغيبيات وذلك ربما كان طمعاً من الأعمى بما يجود به ابن بطوطة عليه كما فعل مع الفقير والله أعلم .

ومن الخرافات التي ذكرها في رحلته، ما أورده عن ملك المغرب أبي يعقوب يوسف الموحدي (ت ٥٩٥هـ/١٠٩٩م) الذي ترك سلطته كملك وتوجه إلى الشام ومات بها ودفن في بيروت، وأن الرحالة زار قبره، ثم ذكر طرفاً من أخباره مسنداً إليه بعض الخرافات، ومنها: أنه نزل ضيفاً على رجل فقير في دمشق، وكان أوان زواج بنته، وكانت عادات الناس حينها أن يقوم الرجل بتجهيز ابنته، فأحضر لها أواني نحاسية، فلما شاهدها أبو يعقوب أراد أن يرد الجميل للرجل الذي أضافه، فقام بتحويل جميع تلك الأواني وما لديه منها في المنزل وما جلبه من الجيران من أواني نحاسية إلى ذهبية، باستخدام الأكسير[٧٥] الذي كان يحمله معه بصرة[٧٦] .

ويبدو أن ابن بطوطة سمع بهذه الرواية من العامة أثناء زيارته لقبر ذلك الملك، وهي من قبيل الروايات الخرافية التي أبدع فيها خيال عامة الناس حول الشخصيات المشهورة، لاسيما وأن هذا الملك ترك ملكه في المغرب وفر بنفسه إلى الشام ليعيش حياة الزهد والتصوف .

ومن الأخبار الغريبة والنادرة التي سجلها الرحالة، ما ذكره حول شخصية الخاتون الكبرى زوجة السلطان أوزبك سلطان القرم وخوارزم، إذ أكد أنها أكثر زوجاته حظوة عنده، وأنه يقضي أكثر لياليه عندها، ونقل لنا تعليل أحد الأشخاص لاهتمام السلطان بهذه الزوجة وتقديمه لها على غيرها من زوجاته الأخريات بما نصه: "أن السلطان يحبها للخاصية التي فيها وهي أنه يجدها كل ليلة كأنها بكر!!"[٧٧]. ثم نقل لنا معلومة عن أصلها من شخص آخر على أنها: "من سلالة المرأة التي يذكر أن الملك زال عن سليمان بسببها، ولما عاد إليه ملكه أمر أن توضع بصحراء لا عمارة فيها، فوضعت بصحراء قفجق[٧٨] وأ ن رحم هذه الخاتون شبه الحلقة خلقة وكذلك كل من هي من نسل المرأة المذكورة"[٧٩].

ولا نعرف كيف علم هؤلاء أنها من نسل تلك المرأة، وهل أجروا فحص الحمض النووي آنذاك ؟!! أم أنه ضرب من الخيال نسجته مخيلة العامة التي تتشوق إلى أخبار الملوك والسلاطين وتضفي عليها

المبالغات والأساطير ؟ ثم كيف علموا بأسرار الزوجين ؟ فهل يعقل أن السلطان هو الذي تحدث بخاصية زوجته تلك ؟ وهو الذي وصفه الرحالة ذاته بقوله: "...وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان...وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها..."[٨٠].

فهل يعقل أن سلطاناً بهذه المواصفات يخوض بأسرار جسد زوجته وبأسلوب مبتذل اجتماعياً ومحذور دينياً.

ومن أقواله التي تندرج تحت قائمة المبالغات قوله في مدح سلطان المغرب أبي عنان[٨١] حيث نسج في مدحه على منوال الشعراء حينما يتهافتون على أبواب السلاطين مادحين من يستحق ومن لا يستحق، ولنقرأ ما كتبه ابن بطوطة عنه بعد لقائه به في مدينة فاس سنة ٧٥٠هـ حيث قال: "...هيبته هيبة سلطان العراق، وحسنه حسن ملك الهند، وحسن أخلاقه حسن خلق ملك اليمن، وشجاعته شجاعة ملك الترك، وحلمه حلم ملك الروم، وديانته ديانة ملك تركستان، وعلمه علم ملك الجاوة[٨٢]"[٨٣]. ولا نعلم كيف تسنى لابن بطوطة ومن خلال لقاء واحد مع هذا السلطان أن يصفه بالمقارنة مع هؤلاء الملوك ؟

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ ابن خلدون كان شاهداً على زيارة ابن بطوطة إلى فاس خلال حكم أبي عنان، وأشار إلى اتصاله بالسلطان المذكور، وكيف أخذ يحدث السلطان والناس بمشاهداته في البلاد التي زارها، ولاسيما الهند، وأكد ابن خلدون أن الناس كذبت ابن بطوطة وتحدثت عن مبالغاته، فقام هو – ابن خلدون – بإخبار وزير السلطان بذلك، فلم يتقبل الأمر ورفض تكذيب ابن بطوطة[٨٤] .

مبالغاته حول مشايخ التصوف

من اللافت للنظر كثرة أخبار الزهاد والمتصوفة التي سجلها ابن بطوطة في رحلته، حتى أنها تصلح أن تكون دراسة مستقلة لبحث حركة التصوف خلال القرن الثامن الهجري، ولم يقتصر على متصوفة بلد معين، بل شمل بذلك مختلف البلدان التي زارها وكان حريصاً شديد الحرص على اللقاء بهؤلاء الشيوخ وزيارتهم وتمنى كما قال أن يقضي عمره في خدمتهم أو العيش معهم. أن ميله للزهاد والمتصوفة وتأثره بهم هو الذي يفسر تتبعه لأخبارهم وتوثيقها، بل هو الذي يعلل لنا ذكره للعديد من الأساطير والمبالغات التي تنسب إليهم وتغاضيه عن نقدها، بل ذكر العديد منها على أنها من الحقائق المسلم بها، وسنذكر هنا فقط العديد من الشيوخ الذين نسب إليهم بعض الخوارق التي لا يصدقها المنطق، ومن ذلك ما ذكره عن الزاهد برهان الدين الأعرج أثناء زيارته لمدينة الإسكندرية حيث نقل لنا الحوار الذي دار بينهما على النحو الآتي: "دخلت عليه يوماً فقال لي: أراك تحب السياحة والجولان في البلاد، فقلت له: نعم إني أحب ذلك، ولم يكن حينئذ بخاطري

التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين، فقال: لا بد لك أن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند وأخي برهان الدين بالصين فإذا بلغتهم فأبلغهم مني السلام، فعجبت من قوله وألقى في روعي التوجه إلى تلك البلاد، ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه..."[٨٥].

وهذه مبالغة واضحة، لاسيما إذا ما وضعنا نصب أعيننا أن هؤلاء الثلاثة ليسوا بأخوة لذلك الزاهد، بل لم يرهم طيلة حياته، لكنه اعتمد على معرفته الروحية المعتمدة على شطحات الصوفية التي يشوبها الكثير من المبالغات والإضافات، ثم أنى لرحالة القرن الثامن الهجري الذي لا توجد فيه وسائل اتصال ولا وسائل نقل سوى البدائية منها، أن يجد هؤلاء الثلاثة كلاً على حده في تلك البلدان الشاسعة المترامية الأطراف الكثيرة المدن والقصبات ؟ وكم تطلب منه الأمر من جهد ووقت حتى وجدهم ؟ ثم أنه لم يبين لنا كيف وجدهم وفي أي تاريخ أو مكان ؟ .

وفي الإسكندرية أيضاً سمع بأخبار الزاهد المصري أبي عبدالله المرشدي فنقل لنا أخباره سماعاً واصفاً إياه بالشيخ العابد المنقطع في زاويته في منية بني رشيد[٨٦] يسكنها لوحده لا يخدمه أحد . ويقصده إلى زاويته يومياً الوزراء والولاة والأمراء وبعض السلاطين، فضلاً عن عامة الناس، وإن كل واحد من هؤلاء الـ زائرين له ينوي مع نفسه حينما ، يروم الذهاب لزيارة ذلك الزاهد أن يأكل لوناً معيناً من الطعام أو فاكهة أو حلوى يشتهيها فيحصل الجميع على أصناف ما تمنوا من طعام دون أن يخبروه بمرادهم، وأنه يأتي ببعض الفواكه في غير موسمها[٨٧].

إن هذه الرواية ضعيفة من حيث السند و المتن، فسندها اعتمد فيه ابن بطوطة على السماع دون أن يذكر لنا المصدر الذي سمع منه أخبار ذلك الشيخ، والسماع من أضعف مصادر التوثيق كما هو معلوم، لاسيما إذا كان مصدره مجهولاً، كما أن متن الرواية واضح المبالغة وبعيد التصديق.

وإبان زيارته لمصر أيضاً نقل لنا سماعاً أخبار الشيخ الزاهد جمال الدين الساوي[٨٨] زعيم الطائفة القلندرية المشهورين بحلق لحاهم وحواجبهم، وهذا الشيخ لم يكن موجوداً آنذاك لذلك دون طرفاً من أخباره سماعاً وهي أخبار تشوبها المبالغات والخرافات، فقد قال أن الشيخ الساوي في حياته كان يسكن مقبرة دمياط، فتوفى أحد الأعيان فجاء إلى المقبرة قاضي المدينة مع المشيعين، فرأى الشيخ جمال الدين الساوي فقال له: أنت الشيخ المبتدع، فرد عليه، وأنت القاضي الجاهل، فقال له القاضي: وأعظم من ذلك حلقك للحيتك، فصاح الشيخ صيحة قوية ثم رفع رأسه، فإذا هو ذو لحية سوداء عظيمة، فتعجب القاضي، ثم صاح ثانية، فإذا هو ذو لحية بيضاء، ثم صاح صيحة ثالثة، فإذا هو بلا لحية كهيئته الأولى[٨٩] .

هكذا روى ابن بطوطة هذه الرواية الخرافية على أنها واقعة حقيقية، ولم يشك بها مطلقاً، بل ذكر نتائج هذه الحالة، إذ قال أن القاضي بعد أن رأى ما حدث نزل عن دابته وقبل يد الشيخ وبنى له زاوية وأصبح من تلاميذه وصحبه طوال حياته[٩٠]. ومما يضعف هذه الرواية أن الرحالة لم يذكر أسم الوزير على الرغم من أن صاحب هذا المنصب من بين المشاهير .

ومن الأمور المبالغ فيها والبعيدة عن الواقع، ما ذكره الرحالة عن الشيخ أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ) المدفون في قرية أم عبيدة بمدينة واسط ، أنه كان في حياته تربطه بصوفي آخر أندلسي اسمه شعيب بن الحسن أبو مدين الأندلسي (ت ٥٩٤هـ) علاقة صداقة، وكانا يسلمان على بعضها صباحاً ومساء فيرد أحدهما على الآخر، على الرغم من بعد المسافة الشاسعة[٩١]، فهل لعاقل أن يصدق بهذا الأمر.

ثم نسب ابن بطوطة لبعض الشيوخ المتصوفة بعض الخوارق المتمثلة بمعرفة الغيب، ففي معرض حديثه عن الشيخ الهندي علي الحيدري قال عنه: "وهو عظيم القدر شهير الذكر بعيد الصيت، ينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة... وكان يكاشفهم بأحوالهم، وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه، فإذا أتى الشيخ للسلام عليه أعلمه بما نذر له وأمره بالوفاء به واتفق له ذلك مرات واشتهر به"[٩٢].

هكذا جعل ابن بطوطة من هذا الشيخ عارفاً بالغيب، ونسي أن التجار بسبب خوفهم الشديد على تجاراتهم المنقولة عبر البحر في ظروف ذلك العصر، ربما خيل لهم أن هذا الشيخ له هذه الخاصية في حفظ أموالهم، فجعلوها على هيئة قصص وروايات تناقلتها الألسن فلما سمع بها هذا الرحالة أخذ بها على أنها من الحقائق دون تدقيق ونقد .

وفي جبال كامرو ببلاد البنغال، ذهب لزيارة الشيخ الولي جلال الدين التبريزي، فلما كان على بعد مسير ة يومين من ذلك الشيخ التقى ببعض أصحابه، فقال له: إن الشيخ أخبر الناس أن سائحاً من المغرب قادم إليكم فاستقبلوه، وأنهم جاءوا إليه بأمر الشيخ، ولم يكن عنده علم من أمر زيارة ابن بطوطة له، وأنما كشف له الحجاب فعلم بذلك[٩٣]. ونسب لهذا الشيخ أمر آخر في ذات المجال، حيث أنه تمنى أن يهديه ذلك الشيخ الفرجية التي يلبسها حينما التقاه في زاويته فتحقق له ما أراد، ثم علم من أصحاب الشيخ إن الأخير لم يكن يلبس تلك الفرجية، وأنه قال لهم أنه سيرتديها لأن السائح المغربي سيطلبها منه وان أحد السلاطين كان سيأخذها منه، ثم سيعطيها ابن بطوطة لشيخ آخر في بلاد الصين يسمى برهان الدين الصاغرجي، وأنه رأى الفرجية ذاتها بعد عام كامل يرتديها الشيخ الصاغرجي حينما التقى به الرحالة[٩٤] .

ومن المبالغات المنسوبة للشيخ جلال الدين التبريزي المذكور والتي نقلها ابن بطوطة على أنها من الحقائق ما ذكره عنه من أنه كان يذهب صباح كل يوم من بلاد البنغال إلى مكة ليصلي هناك

صلاة الصبح ثم يعود وأنه يحج كل عام لأنه كان يغيب عن الناس يوم عرفة والعيد فلا يعرف أين يذهب[٩٥] .

ومن الخوارق المنسوبة لبعض مشايخ الصوفية من قبل ابن بطوطة تلك المتعلقة بقيام بعضهم بالإنفاق الكثير دون أن يكون له مصدر مالي، كقوله أثناء زيارته لمدينة دلهي عن الشيخ الزاهد محمد الكبا: "الناس يزعمون أنه ينفق من الكون لأنه لا مال له ظاهر وهو يطعم الوارد والصادر ويعطي الذهب والدراهم والأثواب"[٩٦] .

ومن المبالغات المنسوبة للصوفية، مقدرتهم على الصبر عن الطعام وعدم تناوله لفترات طويلة، أو تناول اليسير جداً منه بعد صوم أيام كثيرة، ومن ذلك ما قاله عن الشيخ الزاهد عبدالله الكردي السنجاري بأنه: "صاحب كرامات، يذكر عنه أنه لا يفطر إلا بعد أربعين يوماً ويكون إفطاره على نصف قرص من الشعير"[٩٧]، وذكر الرحالة أنه رأى في دلهي الشيخ رجب البرقعي الزاهد دخل في الخلوة ومعه أربعون تمرة فقط، فأقام بخلوته أربعين يوماً، ثم خرج وفضل من التمرات ثلاث عشرة تمرة[٩٨] . واكد أيضاً انه رأى خلال مكوثه في مدينة منجرور[٩٩] مسلماً لا يتناول الطعام والشراب لخمسة وعشرين يوماً وأنه غادره وهو على تلك الحال ولا يعلم كم أقام بعده على ذلك الأمر، وأشار ان الناس يذكرون أن بعض هؤلاء يركبون حبوباً يأكلون الحبة منها لأيام معلومة أو شهر، فلا يحتاج في تلك المدة إلى طعام أو شراب[١٠٠] ولكن هذه المرة حاول ابن بطوطة أن يعلل تلك الظاهرة حينما قال: "والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة..."[١٠١] .

تناقضات ابن بطوطة وأخطاؤه وأحكامه المطلقة

من التناقضات التي وقع بها ابن بطوطة في تسجيله لأخبار السلاطين ما كتبه عن سلطان الهند محمد شاه بن السلطان تغلق شاه، ففي بداية حديثه عنه قال إنه: "أشد الناس مع ذلك تواضعاً وأكثرهم إظهاراً للعدل والحق وشعائر الدين عنده محفوظة"[١٠٢].

وعند متابعة ما دونه عنه في الأسطر التالية من ذات الصفحة نجد الرحالة ناقض ما بدأ به من تقييم لشخصية ذلك السلطان ، حيث أكد أن الجلادين الذين يعهد لهم قتل الناس جالسون على أبواب القصر السلطاني، فإذا أمر بقتل أحدهم فإنهم يقومون بذلك ويبقى جسد المقتول عند باب القصر ثلاثة أيام[١٠٣].

ثم قال عنه في موضع آخر: "وكان على ما قدمنا من تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة، كثير التجاسر على إراقة الدماء، لا يخلو بابه عن مقتول إلا في النادر، وكنت كثيراً ما أرى الناس يقتلون على بابه ويطرحون هنالك ... وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة، ولا يحترم أحداً من أهل العلم والصلاح والشرف ، وفي كل يوم يرد على المشور (القصر) من المسلسلين

والمغلولين والمقيدين مئين (مئات) فمن كان للقتل قتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب..."[١٠٤].
وذكر الرحالة إن هذا السلطان أمر بأحد أعدائه فسلخ جلده وهو حي ثم قتل وطبخ لحمه مع الأرز وأطعمه لأولاده وأهله، وطرح قسماً من لحمه المطبوخ للفيلة فلم تأكل منه[١٠٥].

وهكذا يظهر لنا أن الرحالة كان مخطئاً وبعيداً عن الحيادية حينما قال في مطلع ذكره لأخبار هذا الطاغية بأنه أكثر السلاطين إظهاراً للحق وشعائر الدين محفوظة لديه. ثم إذا كان الطاغية لا يحترم أحداً من أهل العلم، فماذا يفعل رحالتنا عنده ؟، ولماذا أدمن على الذهاب لقصره كل يوم كما أكد بنفسه ذلك ؟.

ومن أحكامه القضائية التي لا تنسجم مع العدل، ما ذكره تعليقاً على حادثة حدثت في مدينة طرابلس الشام إبان زيارته لها مفادها أن امرأة جاءت لأمير المدينة سندمر واشتكت على أحد المماليك التابعين له بأنه شرب منها لبناً ولم يعطها ثمنه، فأمر بقتله توسيطاً أي بأن يضرب بالسيف تحت سرته فيقطع جسده نصفين، فلما فعلوا به ذلك فتشوا أمعائه وبان لهم وجود اللبن فيها. فعلق ابن بطوطة على هذا الفعل بأنه من قبيل تحري ذلك الأمير للعدل والإنصاف[١٠٦] .

ونقول لقاضي القضاة هذا، ما كان لك أن تقول لو أنهم لم يجدوا أثراً لذلك اللبن، وهل هذه هي الطريقة الأصح للتحقق من أفعال الناس ؟ وهل يرضى بذلك الدين ؟

إنه أمر شنيع أن يجيز ابن بطوطة لذلك الأمير قيامه بهذا العمل الخطير لقاء شربة من اللبن، فالعقوبة هنا لا تتناسب مع الذنب، وما قام به الأمير القاتل لا يعدو كونه جهل بالشرع وكان على الرحالة أن لا يبرر له قيامه بهذه الجريمة، وهو القاضي وكيف يعد العبث بأمعاء المقتول تحرياً للعدل ومن أجل الحصول على الدليل؟ .

ومن الأحكام ذات الطابع الطبي الخاطئة التي أطلقها ابن بطوطة وأضعفت مكانته كثيراً كونه أطلقها عن جهل وعدم دراية بفوائد الغذاء ومضاره، أنه قال عن فاكهة الأجاص الذي شاهده في دولة مالي بأفريقيا، أنه "شديد الحلاوة مضر بالبيضان إذا أكلوه"[١٠٧]. هكذا حكم ابن بطوطة، وكأن هذه الفاكهة خلقت للسودان فقط، أو أنهم يمتلكون معدة تختلف عما لدى البيض .

كما كرر مثل هذا الحكم مع محصول زراعي آخر، حينما قال: "...إلا أن الأرز يضر أكله بالبيضان"[١٠٨]، ومن المؤكد أن الرحالة لم يخضع هذين المحصولين للتجربة والاختبار ! بل ربما سمع بذلك من عامة الناس فصدق به ونقله لنا على أنه من الحقائق الثابتة .

ومن أحكامه المطلقة التي أصدرها وثبتها في رحلته المدونة، قوله أن جميع ما يحص عليه الإنسان من مال من بلاد الهند لابد أن يفنى إذ قال: "وهكذا مال هذه البلاد الهندية قلما يخرج أحد به منها إلاّ النادر، وإذا خرج به ووصل إلى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفني ما بيده"[١٠٩]، قال ذلك

متأثراً بحادثتين الأولى حدثت لفقيه حصل على هدية من السلطان محمد بن تغلق عبارة عن مقدار كبير من الذهب فلما وصل إلى جزيرة هرمز قادماً بماله من الهند كله وافتقر(١١٠). والحادثة الثانية تتعلق بذهاب كل ما جمعه ابن بطوطة من أموال نقدية وعينية من بلاد الهند أثر تعرض مركبه إلى هجوم القراصنة الهنود في عرض البحر(١١١). فهاتان الحادثتان دفعته إلى إصدار ذلك الحكم العام الذي لا يصح عقلاً ولا منطقاً وكان الأحرى به أن يعلله تعليلاً دينياً فيقول أن جميع ما جمعه كان من السحت الحرام لقاء وقوفه إلى جانب الطغاة وفي مقدمتهم السلطان محمد بن تغلق الذي كان يحصل بدوره على الأموال الطائلة عبر الضرائب أو الحروب والسلب والنهب في الغالب .

الخاتمة

من خلال دراسة رحلة ابن بطوطة المدونة، يمكن تسجيل النقاط الآتية:

- إن ابن بطوطة حرص كثيراً على مقابلة الحكام سواء أكانوا ملوكاً أو سلاطين أو أمراء وفي مختلف البلدان التي زارها، وقد حظي بهداياهم وأعطياتهم العينية والنقدية، وقد جمع ثروة هائلة منها، ضاعت مرة واحدة حينما هاجم القراصنة اليهود السفينة التي كانت تقله مع آخرين وحينما لم يكن يحصل على هدية سلطان أو ملك أو أنه يتأخر في ذلك فإن رحالتنا كان يطالب بذلك بنفسه .
- اشتهر عن ابن بطوطة حرصه على أن يكون لديه نساء في حله وترحاله سواء أكن زوجات أم سراري، وقد تزوج الكثير واقتنى الكثير من الجواري ، وأعطى وصفاً للعديد من نساء المناطق التي زارها حتى أنه لم يكتف بالوصف الطبيعي بل تعداه إلى وصف الجسد والسلوك أثناء المعاشرة والرجل كان شبقاً على خلاف ما ذكره أحد الباحثين عنه من أنه كان طبيعياً من هذه الناحية .
- حفلت رحلته المدونة بالكثير من الخرافات والمبالغات التي يعجب القارئ المتخصص من إقدام الرحالة على ذكرها وهي بلا شك شكلت إحدى سلبيات تلك الرحلة .
- على الرغم من ادعاء ابن بطوطة برغبته أن يعيش مع الزهاد والمتصوفة، لكن تتبع حياته نجدها كانت باذخة ملؤها الإسراف الباذخ، وقد اضطر الرجل إلى أن يستدين المال الكثير ليغطي ذلك الإسراف، وعمل على التزلف لبعض الحكام ومدحهم بغية الحصول على منحهم المالية لتغطية ديونه الكثيرة .
- من سلبياته تعامله الفج مع بعض النسوة المسبيات خلال الحرب بين الهنود من المسلمين وغير المسلمين، لاسيما تلك المرأة المتزوجة الذي رجاه زوجها أن يعيدها إليه لكن ابن بطوطة رفض واحتفظ بتلك الأسيرة .
- وفي ثنايا الدراسة الكثير من الجوانب السلبية التي جاءت في رحلته المدونة، وهو الجانب الذي سلطنا عليه الضوء أكثر من غيره، لأنه حسب اعتقادنا المتواضع لم يدرس بالقدر الكافي .

قائمة المصادر والمراجع

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ.)**

١-اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر (بيروت، ١٩٨٠م) .

- **الإدريسي، الشريف (ت ٥٦٠ هـ.)**

٢-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت ١٩٩٨م) .

- **ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩ هـ.)**

٣-رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٧م) .

- **ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ.)**

٤-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٢٧م) .

- **الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦ هـ.)**

٥-معجم البلدان، دار صادر (بيروت د.ت) .

- **الحميري محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ.)**

٦-الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت ١٩٨٤م) .

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨ هـ.)**

٧-تاريخ ابن خلدون، ط٤، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د.ت) .

- **الزبيدي محمد مرتضى الواسطي (ت ١٢٠٥ هـ.)**

٨-تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المختصين، دار الهداية (د.م، د.ت) .

- **القلقشندي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ.)**

٩-صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار (دمشق ١٩٨١م) .

- **مؤنس، حسين**

١٠- ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف (القاهرة د.ت) .

الهوامش

(١) ابن بطوطة: هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي شمس الدين أو شرف الدين أبو عبدالله المغربي المشهور بابن بطوطة، ولد سنة ٧٠٣هـ، وتوفى سنة ٧٧٩هـ، صاحب الرحلة المعروف بأسم تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار والتي تعرف اختصاراً برحلة ابن بطوطة. خرج في رحلته من طنجة سنة ٧٢٥هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق واليمن وفارس والبحرين وتركستان وأواسط أفريقيا، واتصل بالكثير من الملوك والسلاطين مستعيناً بهباتهم وهداياهم، وحينما عاد إلى المغرب أملى أخبار رحلته سنة ٧٥٦هـ على محمد بن جزي الكلبي في مدينة فاس، وقد ترجمت هذه الرحلة إلى عدد من اللغات الأجنبية. ينظر: البغدادي، هدية العارفين،ج٢/ص١٦٩؛ الزركلي، الأعلام، ج٦/ص٣٣٥ .

(٢) قسنطينة: من أشهر مدن بلاد أفريقة، تقع بين مدينتي تيجس وميلة، وهي قديمة كبيرة آهلة بالسكان في آثار الأول كثيرة الخصب فيها قرى عامرة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٠

(٣) الرحلة، ص٣٤ .

(٤) فارسكور: وتسمى أحياناً فرسكر وهي قرية كبيرة عامرة في مصر على شاطئ النيل الشرقي من اقليم الدقهلية. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١/ص٣٣٩ ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٧/ص٣٤٨ .

(٥) الرحلة، ص٥٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص٢٠٠ .

(٧) الرحلة، ص٢٠٢ .

(٨) المصدر نفسه والصفحة .

(٩) حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته ، ٣٣

(١٠) الدندار: أبو إسحاق بك بن الدندار واحدة من عدة أخوة كانوا يحكمون مدناً في بلاد الروم مثل أنطاليا وعيدلي، ومن أخوته خضر ويونس ويسمون بني منتشا، وكانت لهم علاقات مع المماليك الحاكمين في مصر. ينظر: القلقشندي، ج٥/ص٣٢٥، ص٣٢٩، ص٣٤٨ .

(١١) الرحلة، ص٣٠٤ .

(١٢) قسطمونية: إحدى مدن بلاد الروم سيطر عليها التركمان واتخذوها قاعدة لهم، تقع شرقي هرقلة وجنوبي سنوب. ينظر: القلقشندي، ج٥/ص٣٢٥ .

(١٣) الرحلة، ص٣٢٩-٣٣٠ .

(١٤) لاذق: مدينة في بلاد الروم لها مرفأ جيد وسماها ياقوت لاذقية. معجم البلدان، ج٥/ص٥. وتسمى اليوم اللاذقية، وتعد من أهم المدن السورية حالياً.

(١٥) الرحلة، ص٣٠٦ .

(١٦) جعلها ابن بطوطة إقليماً قائماً بذاته مستقلاً عن خراسان وهي تضم الكثير من القرى والنواحي الخصبة، بنيت على أطلال مدينة قديمة تسمى المنصورة تقع على الضفة الشرقية لنهر جيحون. ينظر: معجم البلدان، ج٥/ص٣١١ .

(١٧) لم نعثر له على ترجمة .

(١٨) الرحلة، ص٣٣٧ .

(١٩) كان اسمه جونه، فلما توفى والده السلطان تغلق شغر ملك الهند فاستولى عليه جونه وتسمى بمحمد وتكنى بأبي المجاهد، وقد سجل ابن بطوطة أخبار هذا الملك أو السلطان عن معايشة ومشاهدة إبان مكوثه في الهند لعدة سنوات. ينظر: الرحلة، ص٤٢٧ فما بعد .

(٢٠) الرحلة، ص٥٢٦ .

(٢١) المصدر نفسه، ص٥١٩ .

(٢٢) الرحلة، ص٥١٥-٥١٦ .

(٢٣) المصدر نفسه، ص٥٩٣ .

(٢٤) المصدر نفسه، ص٦٥٦ .

(٢٥) المصدر نفسه، ٣٤٩ .

(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٤٧ .

(٢٧) الرحلة، ص٢٤٨ .

(٢٨) بلي كسرى: من مدن بلاد الروم يحكمها المسلمون، حسنة كثيرة العمارات مليحة الأسواق ليس فيها جامع. ينظر: رحلة ابن بطوطة، ص٢٩٥ .

(٢٩) المصدر نفسه، ص٢٩٥ .

(٣٠) المصدر نفسه، ص٣٢٩-٣٣٠ .

(٣١) المصدر نفسه، ص٦١٢ .

[٣٢]المصدر نفسه، ص٣٢٩-٣٣٠ .

[٣٣]الرحلة، ص٦٩٢ .

[٣٤] المصدر نفسه والصفحة .

[٣٥]

[٣٦]حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص٣٦ .

[٣٧] صفاقس: مدينة على ساحل البحر شرق المهدية، وهي صغيرة، يقع جنوبها جبل السبع، تسقى من الآبار. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ص٩٩ .

[٣٨] لم نجد لها تعريفاً، ولعلها كانت إحدى القصبات في ليبيا الحالية .

[٣٩]الرحلة، ص٣٦ .

[٤٠]المصدر نفسه، ص٣٦٨ .

[٤١]سلوقية: إحدى مدن بلاد الروم، بينها وبين مدينة أنطاليا أربعة أميال. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢/ص٦٤٧ .

[٤٢]الرحلة، ص٣٦٩ .

[٤٣]المصدر نفسه، ص٥٠٠ .

[٤٤]الرحلة، ص

[٤٥]جاوة: هي إحدى جزر أندنوسيا المشهورة، جعلها ياقوت أول بلاد الصين. معجم البلدان، ج١/ص٣٤٥ .

[٤٦]الرحلة، ص٥٦١ .

[٤٧]ذيبة المهل: مجموعة جزر ذكرها ابن بطوطة عدة مرات في رحلته ولم يحدد موقعهما الجغرافي، ويبدو من سياق الحديث أنها بين الهند واندنوسيا . ينظر: الرحلة، ص٢٥٥ فما بعد .

[٤٨]الرحلة، ص٥٩٢ .

[٤٩]لم يرد ذكرها عند آخرين، ولعل اسمها قد تغير في زمن ابن بطوطة أو أنها تكتب بلفظ قريب من لفظ ملوك.

[٥٠] الرحلة، ص٥٩٥ .

[٥١]المصدر نفسه، ص٦٥١ .

[٥٢]الرحلة، ص٥٨١ .

[٥٣]المصدر نفسه، ص٥٨٨-٥٩١ .

[٥٤]المصدر نفسه، ص٥٩٤ .

[٥٥]هو السلطان جمال الدين محمد بن حسن كان كما وصفه الرحالة من خيار السلاطين لكنه خاضع لحكم سلطان غير مسلم، وصفه بأنه مواظب على الصوم والصلاة لكنه في ذات الصفحة يصف لنا كيف تقوم إحدى الجواري الحسان يومياً بتقديم الطعام بين يديه المتكون من ألوان وأشكال عديدة. ينظر: الرحلة، ص٥٤٥ .

[٥٦]هنور: هي مدينة تقع غربي مدينة سندابو، أول بلاد المنيبار. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ص٧٠ .

[٥٧]الرحلة، ص٥٧٧ .

[٥٨]المصدر نفسه، ص٥٢٠ .

[٥٩]المصدر نفسه، ص٥٨٤ .

[٦٠]الرحلة، ص٦٨٧ .

[٦١] دولة آباد: إحدى مدن الهند تقع بعد مسيرة أربعين يوماً عن مدينة دهلي عاصمة الهند، وتسمى أيضاً بالكتكة أو بالدونجر. ينظر: المصدر نفسه، ص١٧٦ .

[٦٢]الرحلة، ص٥٥٩ .

[٦٣]المصدر نفسه، ص٥٥٣ .

[٦٤] المصدر نفسه، ص٦١٤ .

[٦٥] سيراف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً منطلقاً نحو الهند ويسميها التجار سيلا وبينها وبين البصرة سبعة أيام في البحر. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣/ص٢٩٤ .

[٦٦]الرحلة، ص٢٩٠ .

[٦٧]الرحلة، ص٥٨١ .

[٦٨]المصدر نفسه، ص٣١ .

[٦٩]المصدر نفسه، ص٥٩٥ .

[٧٠]الرحلة، ص١٧٦ .

[٧١]المصدر نفسه، ص٦٣٦ .

[٧٢]المصدر نفسه، ص٦٨٩ .

[٧٣]الرحلة، ص٦٩٦ .

[٧٤]المصدر نفسه، ص٢٦٠ .

(٧٥) الأكسير: عرفه ابن خلدون على أنه من عمل الكيمياء، حيث يقومون بخلط مواد متعددة غير متجانسة من العظام والريش ولحم الطيور ومعادن متعددة فيستخرجون مادة تسمى الأكسير يستخدمونها في تحويل الفضة والنهاس والقصدير والرصاص إلى ذهب بعد معالجتها بالنار. ينظر: المقدمة، ج١/ص٥٠٤ . والأكسير شكك فيه ابن خلدون وهو في الواقع لا يعدو كونه بعيد عن الواقع ولا يمكن للمعادن أن تتحول إلى ذهب .

(٧٦)الرحلة، ص٨٣ .

(٧٧)الرحلة، ص٣٤٥ .

(٧٨) قفجق: وتسمى قفجاق أيضاً إحدى بلاد الترك وتسمى أيضاً بلاد القفجاق أو الخفشاق وسميت بهذا الأسم نسبة إلى العنصر التركي المسمى قفجاق الذين رحلوا من موطنهم الأصلي هو من نهر أرتش واستقروا في حوض نهر الفولغا جنوب روسيا الحالية، فعرفت تلك المنطقة باسمهم بلاد القفجاق. ينظر: القلقشندي، ج٤/ص٤٥١ وص٤٥٦، وص٤٦٧ .

(٧٩)الرحلة، ص٣٤٥ .

(٨٠)الرحلة، ص٣٤٥ .

(٨١)أبو عنان: فارس بن السلطان أبو الحسن علي بن السلطان يوسف يعقوب بن عبد الحق المديني المغربي ملك المغرب بفاس توفى سنة ٧٥٩ هـ بعد أن حكم خمس سنوات. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠/ص٣٢٩ .

(٨٢) الجاوة: وتسمى حالياً جاوة وتشكل إلى جانب سومطرة أهم الجزر ضمن دولة أندنوسيا كما هو مشهور .

(٨٣)الرحلة، ص٦٦٧ .

(٨٤)تاريخ ابن خلدون، ج١/ص١٨١ .

(٨٥)الرحلة، ص٤٢ .

(٨٦) منية رشيد: بلدة على ساحل البحر قرب الإسكندرية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ص٤٥ ؛ ابن الأثير، اللباب، ج٢/ص٣٧ .

(٨٧)الرحلة، ص٤٤ .

(٨٨)لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة .

(٨٩)الرحلة، ص٥١ .

(٩٠)الرحلة، ص٥١ .

[٩١]المصدر نفسه ص١١٦ .

[٩٢]المصدر نفسه، ص٤٩٢ .

[٩٣]الرحلة، ص٦١٤ .

[٩٤]المصدر نفسه، ص٦١٦ .

[٩٥]المصدر نفسه والصفحة .

[٩٦]المصدر نفسه، ص٤٤٢ .

[٩٧]المصدر نفسه، ص٢٥١ .

[٩٨]الرحلة، ص٥٥٣ .

[٩٩] منجرور: من أشهر مدن جزر المليبار، يجلب منها الفلفل. ينظر. ياقوت الحموي، ج١/ص٣٤٥ .

[١٠٠]الرحلة، ص٥٥٥ .

[١٠١]المصدر نفسه والصفحة .

[١٠٢]المصدر نفسه، ص٤٦٥ .

[١٠٣]المصدر نفسه والصفحة .

[١٠٤]الرحلة، ص٤٨٧ .

[١٠٥]المصدر نفسه، ص٤٩٦ .

[١٠٦]المصدر نفسه، ص٨٥ .

[١٠٧]الرحلة، ص٤٧٤ .

[١٠٨]المصدر نفسه والصفحة .

[١٠٩]المصدر نفسه، ص٤٣٩ .

[١١٠]المصدر نفسه، ص٥٩٨ .

[١١١]المصدر نفسه،